الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٤٢
الإثنين ١٢ رمضان ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٢١ ٤٤٥٢٣٧٢٥ ٩٨ +

■ مذكرة تحليلية

نهاية إنسان وبداية مدرسة

كيف تحوّل شهادة قائد المقاومة إلى مسار لا يتوقف؟

■ رئيس التحرير

كُتبت هذه المادة بمناسبة ذكرى تشييع الجثمان الطاهر للشهيد السيد حسن نصر الله؛ وهو حدث تجاوز كونه مراسم وداع، ليصبح محطة مثيرة للتأمل في الذاكرة السياسية والتاريخية للمنطقة، وطرح مجدداً هذا السؤال الجوهري أمام المراقبين: هل يعني الغياب الجسدي لقائد ما نهايةً لتيار معين، أم أنه -وكما تُظهر التجارب الخالدة للتاريخ- بداية لمرحلة أكثر عمقاً في تكوينه واستمراره؟

في التجارب الخالدة للتاريخ، لطالما وجدت لحظات لعب فيها "حضور" بعض الفاعلين دوراً حاسماً في موازين القوى، حتى قبل أي إجراء ملموس. في رواية عاشوراء، وطالما كان المولى أبو الفضل العباس عليه السلام حاضراً في الميدان، كان مجرد وجوده يعمل كعامل ردع؛ عامل لم يكن يرتكز فقط على القوة القتالية، بل على الهيبة، والمعنى، والاعتبار. هذا النوع من الحضور، وحتى قبل بدء الاشتباك المباشر، كان يعيد تعريف "معادلة الخوف" بما يضر الجبهة المعادية.

لقد أظهر التاريخ مراراً أنه في المنعطفات الخاصة، يبرز أفراد يتجاوز وزنهم الرمزي والمعنوي أدوات القوة المتعارف عليها. في مثل هذه الحالات، يتحول "الفرد" إلى عنصر هيكلي في الصراع. وفي السياق المعاصر، كانت الحياة السياسية والميدانية للسيد حسن نصر الله تتمتع بهذه الوظيفة والفعالية ذاتها. فما دام حاضراً في المشهد، كان تثبيت هيمنة مطلقة للأعداء الإقليميين يواجه عقبة كاداء؛ عقبة لم تكن عسكرية فحسب، بل كانت جذورها تمتد إلى الهندسة النفسية والذهنية للنزاع.

من هذا المنظور، فإن اختزال السيد حسن نصر الله في كونه قائداً عسكرياً أو فاعلاً سياسياً هو أمر ناقص ومضلل. لقد كان تجسيداً لـ "إمكانية تاريخية": إمكانية المقاومة الفعالة في ظل عدم التوازن، وإمكانية كبح آلة الحرب القائمة على التفوق المطلق، وإمكانية تحويل مواقع الضعف إلى مصادر مستدامة للقوة. ولهذا السبب، لا يمكن اعتبار تصفيته الجسدية بمثابة نهاية لمعادلة ما؛ لأن هدف الاغتيال لم يكن مجرد جسد، بل كان القضاء على حامل لروح جماعية ومنطق تاريخي.

وفي هذا الإطار، يكتسب مفهوم الشهادة معنىً يتجاوز الفقدان. يعتبر التراث الفكري الشيعي الشهادة تحولاً في

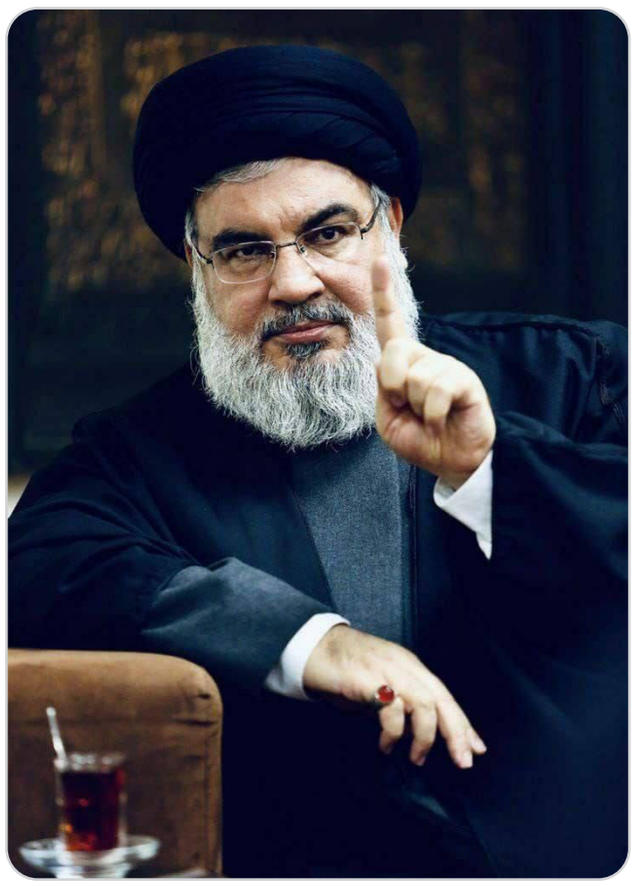

شكل التأثير لا خروجاً من المشهد. والقرآن الكريم أيضاً، بتصريحه بحياة الشهداء، يؤكد على هذا الانتقال في مستوى الأثر. في هذه القراءة، يتحرر الشهيد من قيود الزمان والمكان، ويتحول إلى عنصر خالد في الذاكرة الجمعية والفعل التاريخي. لذلك، يجب اعتبار شهادة نصر الله ليست نهاية للدور، بل انتقالاً به إلى مستوى أكثر شمولاً.

وقبل أن تتجلى قوة الردع لدى المقاومة في شكل صواريخ ومنظومات متطورة، كان نصر الله يُعرف من خلال "الكلمة" (الخطاب). لم يكن خطابه قائماً على الشعارات، بل كان يرتكز على الحسابات، والتوقيت الدقيق، والمصداقية العملية. كان يعلم جيداً متى يتحدث ومتى يصمت، وكيف يخلق غموضاً استراتيجياً، وكيف يربط الوعد بالفعل. هذه الميزة جعلت كلامه جزءاً من "القوة الصلبة" للمقاومة؛ وهو أمر لم يكن يغيب حتى عن حسابات غرف الفكر لدى العدو.

في فضاءٍ تتقلص فيه مقاومة الشعوب أحياناً لتصبح أداة مرحلية للمساومة السياسية، أعاد نصر الله تعريف المقاومة على مستوى "الهوية". وفقاً لهذا المنطق، المقاومة ليست رد فعل اضطرارياً، بل هي نمط للعيش الواعي؛ عيش تُرَجَّح فيه الكرامة والعزة على الأمن القائم على الاستسلام. هذا التجديد في التعريف الهويتي، جعل نموذجه يعبر الحدود الجغرافية والمذهبية، ليكون ملهماً لطيف واسع من أحرار العالم.

أحد المكونات الحاسمة في قيادة نصر الله كان الربط بين الأخلاق والنضال. لقد أدرك بحق أن النضال الخالي من الأخلاق ينتهي إلى عنف أعمى، وأن الأخلاق المنعزلة عن الفعل تفتقر إلى الأثر الاجتماعي. إن التلائم بين هذين المجالين أوجد قيادة لم تستمد شرعيتها من المسافة الرمزية مع الناس، بل من التجربة المعيشية المشتركة. وقد جسدت تصرفاته الشخصية، بما في ذلك تقديم عائلته في دفع الأثمان، هذه الشرعية بشكل عيني، مما أدى إلى شعبية متجذرة.

في المقابل، لا يزال الجهاز الحسابي للعدو يعتمد على المنطق المادي للإزالة؛ وهو منطق يعتبر الاغتيال الجسدي مرادفاً لانهيار التماسك. ومع ذلك، يقدم تاريخ التشيع نموذجاً مختلفاً: إن إراقة الدماء في سبيل هدف ذي معنى يمكن أن تتحول إلى عامل لإعادة إنتاج الدافع واستمرار الحركة. من هذه الزاوية، تمتلك شهادة نصر الله -ورغم ثقل الفقدان- القدرة على أن تصبح مصدراً مستداماً لتجديد وتقوية تيار المقاومة.

في الختام، وكما أخرجت شهادة أبي الفضل العباس عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام رسالة عاشوراء من جغرافية نينوى وحولتها إلى حقيقة عابرة للزمان، فإن شهادة السيد حسن نصر الله تحرر مدرسته من القيود المكانية. في هذا المستوى، هو لا يُحذف من المشهد ولا يختزل في ذكرى تاريخية؛ بل يتحول إلى نموذج حي في المعادلات الفكرية والاستراتيجية للمنطقة؛ حضور يستمر لا عبر الجسد، بل من خلال المعنى.

شعر وقصيدة

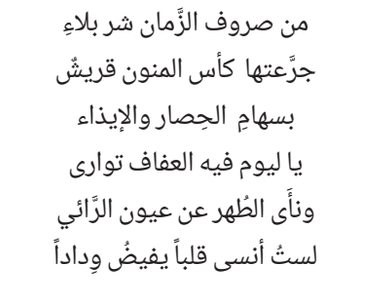

■ عباس علي فتوني

في رثاء أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى عليها السلام

هلَّ دمعي لأفدحِ الأرزاء
يوم وافى الحِمامُ خيرَ النّساءِ
كيف لا أبكي والسّماءُ بكتْ شج
واً على زوج خاتمِ الأنبياء
كيف لا تبكي أعينُ الخَلقِ طُراً
من بكاها الرّسول أيّ بكاء
كيف لا يلتاعُ الحشا والشّجا يغ
مُرُ أحشاءَ «فاطم الزهراء»
عينُ جودي على «خديجة» دمعاً
فهي رمزُ النّدى ونبعُ السخاء
حمَلتْ أطوادَ الخطوبِ ولاقت
من صروف الزّمان شر بلاءِ
جرَّعتها كأس المنون قريشٌ
بسهامِ الحِصار والإيذاء
يا ليوم فيه العفاف توارى
ونأى الطُهر عن عيون الرّائي
لستُ أنسى قلباً يفيضُ وِداداً
لهف نفسي على الحبيب النائي
إن قضت حسرى والفراقُ عزيزٌ
فجزاء اللهِ الكريم عزائي

نصيحة نفسية

■ ما يبقى بعد الرحيل

لن تُحاسَب على انتصاراتك، بل على القلوب التي كسرتها، والكلمات التي آلمت، والفرص التي ضاعت بسبب عنادٍ أو كِبر.
نختلف، نعم، لكن ليس كل اختلاف خصومة، ولا كل خطأ قطيعة.
فالعمر أقصر من أن يُستنزف في الضغائن.
كم من خصامٍ لم يُغلقه اعتذار، فأغلقه الموت؟ وكم من كلمةٍ قاسية تمنى صاحبها لو لم يقلها؟
اترك المكابرة؛ فالاعتذار شجاعة، والتسامح رفعة.
عِش بخفّة، ولا تترك خلفك إلا أثرًا طيبًا وقلبًا يعرف السلام.

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafaq1446
@gmail.com

هل تاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبشر؟

أسئلة وردود

يعرض المقال تحريفًا للشريعة الإسلاميّة عبر توصيف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه "تاجر بالبشر" بسبب شرائه صفية من دحية الكلبي، لكنّه يجزم أن هذا التعبير غير سياقي ويخلط مفاهيم حديثة بوقائع تاريخية قديمة. ويُؤكّد أن الحادثة تقع ضمن سياق حرب خيبر وممارسات السبي والغنائم في تلك الحقبة، مشيرًا إلى أن صفية أُعتقت وتم زواجها برضاها، مما يدلّ على انتقالها من حالة سبي إلى حرية وارتباط زوجي. ويُشير الكاتب إلى أن الإسلام لم ينتج الرقّ، بل أدخل تدريجياً نصوصًا لتحرير العبيد وتحريم الاسترقاق العشوائي، ويطالب بمراجعة المنهج العلمي في تحليل النصوص التاريخية.

■ السؤال: لمن لا يعلم، النبيّ محمّد هو أول من تاجر بالبشر في الإسلام، حيث اشترى صفية من الصحابيّ دحية بسبعٍ من البشر، ثمّ تزوّجها ودخل بها في نفس الليلة المصدر: أخرجه مسلم (١٣٦٥) مطولاً.

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الشبهة ليست سؤالاً بريئاً يُراد به البحث العلميّ، بل يُراد به صناعة صدمةٍ لفظيّةٍ عبر استخدام تعبيراتٍ حديثةٍ مشحونةٍ مثل "الاتجار بالبشر"، ثمّ إسقاطها على سياقٍ تاريخيٍّ مختلفٍ تماماً، دون أيّ التفاتٍ إلى طبيعة السياق التاريخيّ أو طبيعة ذلك الحدث، ولا إلى المنهج في قراءة النصوص التاريخيّة.

أول ما ينبغي توضيحه أنّنا لا نلتزم بمرويات غيرنا، فمجرد وجود الرواية في صحيح مسلمٍ لا يجعلها حجةً علينا، فنحن لا نُسلّم بصحة كلّ ما في البخاريّ ومسلمٍ، ولا نمنحهما صكّ العصمة، فعندنا معيارنا الخاصّ في التوثيق، وسلسلة رجالنا، ومنهجنا النقديّ في قبول الروايات.

ثمّ حتّى لو تنزّلنا جدلاً، فالنصّ الذي يُراد توظيفه من صحيح مسلمٍ لا يثبت ما يدّعونه، فالتعبير الذي يُروّج له: "اشترى صفيّة" هو قراءةٌ دعائيّةٌ للنصّ، لا توصيفاً دقيقاً له، فالحديث يتكلّم عن إعادة توزيعٍ في السبي بعد معركة خيبر، حيث كان دحية الكلبيّ قد أخذ جاريةً من السبي، فلما قيل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّها سيدة بني النضير، استرجعها وأعطاه سبايا غيرها، هذا ليس سوق نخاسةٍ، ولا تجارة أفرادٍ أحرارٍ، بل إجراءٌ ضمن نظام غنائم الحرب الذي كان معمولاً به في كلّ العالم آنذاك، والفرق بين "الاتجار بالبشر" بالمفهوم المعاصر، وبين نظام الأسرى في الحروب القديمة فرقٌ جوهريٌّ لا يجوز طمسه لأغراض الإثارة.

ومع ذلك نحن لا نبني فهمنا على تلك المرويات، فقد نقل السيّد جعفر مرتضى العامليّ في كتابه [الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ج١٨ ص٨٠] عن الطبرسيّ وغيره ما يُعيد تركيب المشهد بصورةٍ مختلفةٍ تماماً. جاء فيه: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما أُخذت صفيّة في السبي، دفعها إلى بلالٍ وقال: «لا تضعها إلّا في يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يرى فيها رأيه». فلمّا مرّ بها بلالٌ على القتلى قال له النبيُّ: «أنُزعت منك الرحمة يا بلال؟!». هذا النصُّ وحده يكشف عن حساسيّةٍ إنسانيّةٍ عاليةٍ حتّى في ظرف الحرب، لا عن عقليّة "تاجر بشرٍ".

ثمّ إنّ الروايات عندنا تُصرّح بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خيّرها بين أنْ تبقى على دينها وتلحق بأهلها إنْ شاءت، أو أنْ تُسلم فيتخذها لنفسه. فاختارت الإسلام، فأعتقها، وجعل عتقها صداقها. هذه النقطة هي المفصل الحقيقيّ في القضيّة، وو كان الأمر استرقاقاً محضاً أو تجارةً، لبقيت أمةً في ملكه كما كان مألوفاً في ذلك الزمان، لكنّه نقلها من حالة السبي إلى الحريّة، ثمّ إلى مقام الزوجيّة، أي إلى موقعٍ اجتماعيٍّ وقانونيٍّ أعلى من كلّ الاحتمالات الأخرى المتاحة في سياق ذلك العصر.

وهنا يجب أن نشير إلى أنّ الإسلام لم ينشئ نظام الرقّ، بل جاء في عالمٍ كان الرقُّ فيه بنيّةً اقتصاديّةً واجتماعيّةً متجذّرةً، ففتح أبواب التحرير التدريجيّ، وجعل العتق كفاراتٍ، ووسّع مصارف "الرقاب"، وأغلق منابع الاسترقاق العشوائيّ، وضمن هذا السياق يجب أن نفهم حادثة صفيّة، لا في سياق الاتجار بالبشر.

فالخلط الذي يقع فيه الطاعن هو إسقاط مفاهيم القرن الحادي والعشرين على وقائع القرن السابع الميلاديّ، ثمّ شحنها بلغةٍ أخلاقيّةٍ معاصرةٍ، وهذه طريقةٌ غير علميّةٍ في قراءة التاريخ، فمن أراد الإنصاف فعليه أنْ يسأل: ماذا كان مصير الأسيرات في ذلك العصر عادةً؟ هل كان القتل؟ البيع؟ الاستعباد الدائم؟ ثمّ ليقارن ذلك بما حصل فعلاً في حالة صفيّة.

فنحن لا نتعامل مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بوصفه شخصيّةً سياسيّةً تبحث عن مكاسب بشريّةٍ، بل بوصفه مشرّعاً يتحرّك ضمن واقعٍ تاريخيٍّ معقدٍ، ويُدخل عليه إصلاحاً تدريجياً. وقصة صفيّة ـ وفق ما عندنا من مصادر معتبرةٍ ـ تنتهي بتحرير امرأةٍ ورفعها إلى مقام زوجةٍ للنبيّ، لا بتسليعها.

فمن الناحية المنهجيّة، لا يصحُّ أنْ يُقال: "أنّ النبيّ أول من تاجر بالبشر"، لأنّها صيغةٌ دعائيّةٌ لا علميّةٌ، فالاتجار بالبشر يعني خطف أحرارٍ وبيعهم لتحقيق أرباحٍ. ما جرى في خيبر كان نتيجة حربٍ معلنةٍ، ضمن نظامٍ عالميٍّ قائمٍ، وانتهى بتحرير المرأة المعنيّة وزواجها برضاها، فبين الصورتين بونٌ شاسعٌ.

وفي المحصلة، نحن لا نُدافع بعاطفةٍ، ولا نُسلّم بمصطلحات خصومنا، ولا نقبل أنْ تُحاكم سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عبر رواياتٍ لا نلتزم بها أصلاً، منهجنا واضحٌ: تمحيص الروايات وفهم السياق والتفريق بين النظام التاريخيّ والإصلاح التشريعيّ، ثمّ إصدار الحكم، ومن سار بهذا المنهج تسقط عنده هذه الشبهة من أساسها.

المصدر: مركز الرصد العقائدي